JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الخامس
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ
العدد الخامس
(٢١٣)- (٢٣٥)

الأبعاد التداولية في شعر حمد محمود الدوخي

أ.م.د. كريم عجيل الهاشمي
جامعة واسط /كلية التربية
kalmyahi@uowasit.edu.iq

ملخص

إنَّ مقاربة النص تداولياً نوع من الممارسة اللغوية الجادة التي تحاول الكشف عن مكنونات اللغة وملفوظاتها وصيغها؛ لذا فقد اجتهدت التداولية بوصفها أحد أهم أركان الدرس اللساني الحديث في تناول أنظمة الخطاب، في محاولة منها لفك شفرات النصوص للوصول إلى مدلوليتها العلاماتية، ولاسيما إن العربية واسعة المعنى ومتعددة الدلالة، بحسب السياق المحيط الذي يؤطرها والمقام الذي ينتظمها، وما يترتب عليه من ظروف ومواقف وأحداث مختلفة. وقد دأبت التداولية على استعمال مجموعة من الاستراتيجيات التواصلية للوصول إلى نوع من الفهم بين المرسل والمتلقي، منها الفعل الكلامي وتفصيلاته والاشاريات وتقسيماتها المعروفة وما إلى ذلك من استراتيجيات مختلفة تسهم في هذه العملية التواصلية. وقد حاولنا في هذه الدراسة مقاربة منجز الشاعر حمد محمود الدوخي على وفق الابعاد التداولية، وقد اتضح مدى انسجام هذا المنجز مع هذا النوع من المنهج.

الكلمات المفتاحية: التداولية، الاشاريات، حمد محمود الدوخي، الافعال الكلامية.

The pragmatic dimensions in Hamad Mahmoud AL- Douks poetry

Karim Ajil Al Hashemi
Wasit University / College of Education
kalmyahi@uowasit.edu.iq

Abstract

The approach of the text pragmatically is a kind of serious linguistic practice that attempts to reveal the contents of the language, its utterances, and its forms; Therefore, pragmatics, as one of the most important pillars of the

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الخامس
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

modern linguistic lesson, has endeavored to deal with discourse systems, in an attempt to decipher the texts to reach their semantic connotations, especially since Arabic is broad in meaning and has multiple connotations, according to the surrounding context that frames it and the station that organizes it, and the consequent circumstances and situations. And different events. The deliberative has always used a set of communicative strategies to reach a kind of understanding between the sender and the receiver, including the verbal act and its details, signs and their well-known divisions, and other different strategies that contribute to this communicative process. In this study, we have tried to approach the achievement of the poet Hamad Mahmoud Al-Doukhi according to the pragmatic dimensions, and it has become clear to what extent this achievement is in harmony with this type of approach.

key words :pragmatic ،signals،hamad mahmoud al- douk ، verbal verbs.

مفهوم التداولية:

التداول لغة مصدر تداول، يقال: "دال يدول دولاً : انتقل من حال إلى حال ، وأدالا لشيء: جعله متداولاً، وتداولت الأيدي الشيء: أخذته هذه مرة وتلك مرة" **(ابن منظور ١ ،٢٠٠٠،مادة دول)**.

أما في الاصطلاح فقد عرفها مسعود صحراوي بأنَّها: "علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال... ويدمج مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره" **(صحراوي، ٢٠٠٥م :١٦)**.

ويشترط مسعود صحراوي هنا الإشارة إلى العلاقات المتداخلة بين التداوليّة والحقول الأخرى للحديث عن التداوليّة وجهازها المفاهيمي، فبعض الحقول تشـــي بوجه أو بآخر بهذا التداخل المؤدي إلى الاستدلالات المفضية إلى الإنتاج الدلالي. لا يختلف الدكتور أحمد فهد صالح عمَّا رآه صحراوي، إلا أنه رأى ارتباط التداولية بالمشـــاريع المعرفية هو بداية النشـــأة، إذ يقول: "لذلك نلحظ أن التداولية في بدايتها لم تكن ذات طبيعة تخصـــصـــية"(**شـــاهين، ٢٠١٥م :٨)**؛ ومن ثم يعرفها بأنها "تربط دارس التركيب (النص) بما يحيط بها من ملابسات سياقية" **(المصدر نفسه:٩)**، ويعرفها صلاح فضل بأنها "احدث فروع العلوم اللغوية وهي التي تعني بتحليل عمليات الكلام والكتابة ووصـــف وظائف الأقوال اللغوية وخصـــائصـــها خلال إجراءات التواصـــل بشـــكل عام، مما يجعلها ذات صـــبغة تنفيذية عملية"

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الخامس
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

(فضـــل ١٩٩٢م: ٨)، وهذا التعريف لا يختلف كثيراً عن مفهوم الدكتور رمزي منير البعلبكي، فهو يرى أنها "فرع لساني يُعنى بدراسة التواصل بين المتكلم والمتلقي، أو بمعنى آخر يُعنى بدراسة الرموز التي يســتخدمها المتكلم في عملية التواصـــل، والعوامل المؤثرة في اختيار رموز معينة دون أخرى، والعلاقة بين الكلام وســـياق حاله، وأثر العلاقة بين المتكلم والمخاطب في الكلام، وهذا الفرع يُعرف بـــ'' البرجماتية أو التداولية" **(البعلبكي، ١٩٩٠م :٣٩٠)**. والتداوليّة في أصلها ترجمة لمصطلح (pragmatic) الذي يدل على كل شيء له علاقة بالأفعال المختلفة والتأثيرات المترتبة عليها، لذا فقد مثلت العلاقة المتحققة بين العلامات اللغوية المختلفة ومستعمليها مفهوم شـارل موريس للتداوليّة، أما فرانسـو ريكانتي فيرى بأنها "جزء من دراسـة اسـتعمال اللغة في الخطاب، والآثار الخاصـة في اللغة التي تشـهد على مقدرتها الخطابية" **(آيتاوشـان، ١٩٩١م :٥٥)**، في أنظمة التخاطب التواصـلي. وعلى أســـاس هذا التصـــور يمكن التنبه على أن التداولية تســـعى دائماً إلى تفعيل أقطاب العملية التواصلية ومراعاتها.

أولاً :الاشاريات

ثمة مفاهيم قائم عليها الدرس التداولي في معالجاته لظواهر اللغة ولاســـيما الأدبية منها، والإشـــاريات إحدى هذه المفاهيم المهمة التي يلتقط منها الباحث في هذا المجال الأبعاد التداولية للموضوع الذي هو بصدده ويحاول البحث فيه للوقوف على مجال التواصل في الخطاب، فالإشاريات "تذكير دائم للباحثين النظريين في علم اللغة، بأن اللغات الطبيعيـة وضـعت أساسيا للتواصل المباشر بين الناس وجها لوجه، كما تظهر أهميتها البالغة حين يغيب عنا ما تشـير إليه فيسـود الغمـــوض ويستغلق الفهم" **(نحلة، ٢٠٠٢م:١٦)**، مفهوم الاشاريات ليس لديه معنى محدد ولكن يفهم من خلال وجوده في السياق الذي يندرج ضمنه، وقد تكون هذه المحددات الاشارية ظاهرة وقد تكون ضمن بنية النص البعيدة، وهذه المحددات تقوم بوظيفة الموجه من خلال السـياق الذي يحدد معناها فهي "كلمات و تعبيرات تعتمد اعتمادا تاماً على الســـياق الذي تستخدم فيه ولا يستطيع إنتاجها أو تفسيرها بمعزل عنه" **(نفسه، ١٥ـــــ١٦)**. وهي بهذا تمثل حلقة الوصل بين أطراف عملية التخاطب تقوم بوظيفتها المتمثلة في إرجاع أجزاء من العالم وأحداثه إلى الموقع الذي يشـغله المتكلم في المكان والزمان، وفي كونها نمطا تركيبا مرجعيا لا يفصـل بين الجهة وحدث المرجع، فضـلا عن ذلك فهي عامل –تناسـق نصـــي محوره ، التبئير تمكن من إدخال أشـــياء جديدة في الخطاب **(شـــارودو، ٢٠٠٨ م : ١٥٦ـ١٥٧)**.

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الخامس
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

ومن هذه الاشاريات ما هو شخصي يتمثل بضمائر الأنا والنحن ومنه ما هو زماني مثل الآن وغداً، ومنه ما هو مكاني، وسنحاول الوقوف على هذه الاشاريات في شعر الدوخي ومدى إسهامها في تداولية الخطاب الشعري بين المتكلم ومتلقي النص.

١. الاشاريات الشخصية:**personal deictick**

هذا النوع من الإشاريات يُقصد بها المتكلم وما يعود عليه من قرائن، وقد تكون إشارة إلى المخاطب من جهة، وقد تكون تبادلية بين المتكلم والمخاطب الحاضر من جهة أخرى، فعبر هذه القرائن الاشارية يعبر كل طرف عن نفسه في العملية التواصليّة،"وتحقيق الفاعلية في اللغة، واستعمالها، يعني الحديث عن الضمائر التي تلعب دور تحويل اللغة إلى ممارسة ونشاط فردي من خلال الاستعمال،اذ إن المتكلم حين يملك اللغة ويتحكم فيها يجعلها من إمكاناته، وينصب نفسه في مرتبة عالية ضمن العملية التخاطبية، ولا يتحدث إلا لشخص ينصبه أمامه" **(الشهري،٢٠٠٤م: ٩٧)**، وبذا فهي خيط رابط في عملية التخاطب يقوي عملية التوصيل ويوجهها ويمنحها مساراً واضحاً.

ومن أمثلة هذا النوع من الاشاريات هذا النص الشعري:

أماه
سنبلةُ انتظارِكِ
حفنتي
ويدايَ نملُ
.....
أماه هذا موطني
والأمنياتُ تهجَّرتْ
واستنكرت لغتي (لعلَّ)
وطنٌ به الغرباءُ أسيادٌ
وأهل الدار نزلُ
وطنٌ تعبّأ في حقائب (الدوخي،٢٠٠٠م: ١٢ـ١٣).

يحاول الدوخي في هذا النص أن يجعل من أمه سبيلاً للحديث عن وطنه المفجوع عبر ميله إلى إشراكها في عملية التخاطب في نصه الشعري، فخطابه جاء تجسيداً لحقبة زمنية مرت بها البلاد، فكانت الإشاريات فيه المحور السياقي الداعم لإنجاز الخطاب وكان اسم الإشارة (هذا) البؤرة التي

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الخامس
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

تدور عليها مشاهد حالة هذا الوطن، على الرغم من كونه لا دلالة له من دون السياق الذي ينضوي فيه، فعدم تحديد معناه يجعل العملية التواصلية وتداولية الأفعال قاصرة عن التحقيق والأدائية، ولكن عبر هذه الاشارية تمكن المتكلم من تعزيز صورته ودعم تحقيقها، فهذا الاستعمال من التأشير يعبر عن قرب الوطن من الشاعر، وعن حميمية الدرجة التي تربطه بوطنه، فعلى الرغم من كل ما فيه من أحداث ظل قريبا من وطنه ولم يغادره، فقصدية المتكلم والسياق الذي وردت فيه الأفعال الانجازية واضحة جلية، إذ "يعتمد تفسير التعابير التأشيرية على السياق وعلى قصد المتكلم" **(الشهري، ٢٠٠٤م: ٣٧)**، وهذا ما جعل الدوخيّ واعياً باستعمالاته لهذا النوع من الخطاب.

" تلوذُ بالظلمةِ والحاناتْ

حصانك الأبيض

في دوامةِ

الطريق

مرَّ على مواسمِ

الحريقْ

وظل يبكي حلمَه وماتْ" (الدوخي، ٢٠١٥م : ٢٢).

يمكن لمتلقي هذا النص أن يستوحي من شكل الخطاب نوع التضامن التواصلي بين المرسل/ الشاعر والمرسل إليه، فضلا عن تلمسه نوع الوظيفة التداولية التي ركز عليها الشاعر في بنى الخطاب العميقة، وتحولها من جهتها اللغوية التعبيرية إلى مستوياتها الجمالية التأثيرية عبر الحاحه على الاشاريات الشخصية المتمثلة بالضمائر المتحققة في (تلوذ، حصانك، مرَّ، ظلّ، يبكي) فهذه الضمائر تكشف عن طبيعة عمق العلاقة بين المرسل والمتلقي.

ومن الأمثلة الأخرى على قصدية الشاعر ووعيه بهذه الاشارات الشخصية قوله:

"خلف العراق،

عراق آخر يقف

لان الأرض تسكنه

لان دجلة من عينيه تغترف

لانه وحده

يدري متى يقف

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الخامس
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

هذا الذي يلفح

البارود جبهته

وخصمه في زوايا

الحرب يرتجف

هذا عراقك" (الدوخي، ٢٠٠٩م: ٣٨).

وظّف الدُّخيّ هنا قرائن اشارية متنوعة؛ منها مشتركة، وأخرى محضة، فاسم الإشارة (هذا) الذي أشـار به إلى بلده العراق يمثل المحور السـياقي المهم في تحقيق الخطاب، فالتواصـلية بين أطراف عملية الخطاب، تكون فاعلة إذا ما أحسـن المتكلم إيرادها في سـياق وجودها الفعلي، فالسـياق سـلطة فاعلة تحكم مكونات الجملة عبر الأساليب البلاغية والنحوية التي تجعل النص يبدو منسجماً بوجه أو بآخر، فلا يخفى على أحد حميمية العلاقة بين المعنى والسـياق، والشـاعر كان واعيا بخطابه وبحساسية جملته الشعرية؛ لذا أردف خطابه بـ(الواو) حينما انشد (وخصمه في زوايا الحرب يرتجف) فهذا الحرف تعمد الشـاعر توظيفه لتحقيق قوة انجازية لمكونات الجملة المفهومة من دون تصـريح المتكلم بها، فقوة العراق لم يصـرح بها بل اكتفى بذكر جملة (يلفح البارود جبهته) ليكون قصـده معلوما، عبر تقنية متضـمّنات القول إذ إنها أسلوب "إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضـمنية وخفية من قوانين الخطاب تحكمها ظروف الخطاب العامة كالسـياق وغيره" (**صـحراوي ،٢٠٠٥م:٣٠**)، إلا انه وظّف هذه (الواو) لتكون المدخل الجديد لزيادة التأثير بالقصـد المصرح به بقوله (وخصمه في زوايا البيت يرتجف)، فقصد المتكلم واضح جلي من خلال المعطيات التي تلازم الملفوظ.

وقد تأتي الاشاريات الشخصية بالضمير المستتر كما في قصيدة ملصق على الذاكرة:

"صهيل

إلى عمرو بن كلثوم/

اكتُبْ

ولا تحفلْ

بمَنْ لغطوا

أنتَ

الصحيحُ

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الخامس
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

وكلُّهم غلطُ

أنتَ الذي أثثت مملكة للعاشقين

وحولها هبطوا"(الدوخي، ٢٠٠٩م: ٢١- ٢٢).

إذ يحمل النص سياق التأشير المتعلق بضمير المخاطب (أنتَ)الذي يحقق تواصلية بين أطراف عملية التواصل، فقصد المتكلم من هذه التأشيرة هو الإشارة إلى الشاعر عمرو بن كلثوم، وهي إشارة تركز على المرسل إليه المخصوص دون سواه، فالتأشير صيغة لغوية ترتبط ارتباطاً مباشراً بالسياق الذي ترد فيه؛ لذا فتفسير هذه التأشيرة يتطلب فهم السياق أولا للوصول إلى القصدية وراءها، فضلاً عن الأفعال (اكتب ، أثثت ، لا تحفل) إذ إن هذه الأفعال أصبحت تتمتع بحركية التركيب الذي يتطلب ضميراً مستتراً يعود عليها، ولعل الشاعر / المتكلم أراد الاستتار وراء هذه الشخصية لتعود عليه بالنتيجة دون سواه، فهو يضع نفسه موضع الصحيح وسط هذه الأخطاء، التي تبنتها المنظومة البلاغية التي كشفت عنها الاستراتيجيات المتعددة من التوجيه التلميحي، الذي جاء منسجما مع السياق المقامي الواردة فيه، إذ إنّ "أي كلام يصدر عن متكلم فهو يصدر ضمن مؤسسة تضمن له التحقيق. وهذه المؤسسة هي التي تزود الأفعال الكلامية بالقوة التي تضمن تحقيقها عن طريق التأثير في سلوك المخاطب ومعتقداته" **(بلخير، ٢٠١٣م :٢٧٧).**

٢..الاشاريات المكانية:**spatial deictics**

وهذه العناصر الإشارية "تشير إلى مكان،يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان التكلم، أو مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع ، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قرباً أو بعداً أو جهة" **(نحلة، ٢٠٠٢م:٢١).**

ومن قصيدته (كلام يخص الفراشة):

"وتأخذُ منها

العصافيرُ أوصافَها..

على جهةٍ من

طريق الغمامةِ للقطنِ

تصكَّ التفاصيلَ للوردِ

هذي نبوءتُنا

عن:

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الخامس
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

سرير الوحيدة

أو عن :

صرير القصيدة

إذ بين هذا السرير

وذاك الصرير

يطل المكان المعادُ" (الدوخي، ٢٠٠٩م: ٩٣ـ ٩٤).

لا يمكن تحديد وجهة الكلام الخاص بالفراشة الذي وعد المتكلم/ الشاعر بصفته أحد أطراف عملية التواصل بالحديث عنه ، من دون اللجوء إلى الاشارية التي توضح للمخاطب حدثية الخطاب ومضمونه فكانت هذه الاشارية مقيدة بالطريق إلى القطن،فشبه الجملة من الجار والمجرور (على جهة من طريق الغمامة للقطن) كاشفة لحدود هذا الخطاب ووجهته المرتبطة بقصدية المتكلم من الاشارية المكانية، فلفظة القطن من الوجهة التداوليّة تدل على الصفاء والنقاء المرتبطة ببياض القطن وخصوصيته، فجعل من (الوردة والغمامة) وهما اشاريات مكانية ترتبط بدلالة القطن من جهة تداوليته، فعبر ، ومن الملاحظ أن لفظة الطريق مرتبطة بالغمامة أولا ثم القطن ثانياً وهو فضاء مكاني متخيل انتزعه الشاعر في لغة رمزية غادرت مفهوم الوعي الإنساني إلى رؤى الكائنات ولغتها، وهذه المحددات اللفظية المترابطة تبرز القوة الانجازية لطول المكان المعاد، الذي يسعى الشاعر / المتكلم تأطيره بهذه الاشاريات في سياق حديثه عن الفراشة، ولكن يبقى فهم النص قاصراً وان وجدت هذه القرائن، إذ إنَّ "قصد المتكلم لا يمكن التعرف عليه من خلال ما يمتلكه القول من علامات ومؤشرات وقرائن لسانية فقط، وإنّما يستدل عليه كذلك من مقام القول بعناصره المختلفة" **(المقام في البلاغة العربية، دراسة تداولية، الطوانسي، مجلة عالم الفكر، المجلد ٤٢، ٢٠١٣، ٨٥).**

لذا فقد تآزرت مجموعة من المحددات للكشف عن مضمون النص ومحتواه، منها الاتفاق المسبق المتعارف بين أقطاب الخطاب ومنها المقام الذي جاءت فيه والسياق الحامل لها.

٣.الاشاريات الزمانية:

تعد الاشاريات الزمنية أحدى الصيغ المعينة على تحيد زمنية الحدث من خلال الإفادة من السياق الذي ترد فيه، وزمن التكلم الذي يمثل محور التأشير الزماني لكلام المرسل، فإذا تعذر تحديد ذلك الزمن، تعذر الأمر على متلقي الخطاب في الفهم والتواصلية**(الشهري، ٢٠٠٤م: ٨٣)**، وافتقاد اللغة أهم الوظائف الموضوعة من اجلها، ومن المحددات الزمنية. (الآن، ، غدا، وأمس، اليوم ...)

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الخامس
٢٠٢٢م/١٤٤٣هـ

"وإن كل تحديد احالي لزمان الأحداث في الماضي والحاضر والمستقبل يعتمد إشارات مقامية هو زمن وكل تحديد احالي غير اشاري مقامي يخص امتداد الحدث وحدوده هو المظهر" **(باديس، ٢٠٠٩ م: ٣٤٢)**. ومن هذا يفهم إنَّ الزمن له صور مختلفة في التمظهر التداولي والتواصل اللساني. وسنحاول مقاربة بعض النصوص لمعرفة طبيعة هذا التمظهر:

"بغدادُ

ليلٌ جاهزٌ للبندقية

تذكرين زمانَنا؟؟

كانت مدائنُنا تخافُ الأمنَ

كنّا خائفين .. نعم

ولكنّا نسيرُ على الشوارعِ ضاحكينَ على البلاغةِ

في الخطابِ

وفي الوصايا اليابسةْ

والليلُ منشغلٌ بنا حتى أخيرِ الليلِ..

نرتب طولنا وفْقَ الثيابِ

قبل أن تأتي إلينا الساسةْ"(الدوخي، ٢٠٠٩م: ٦٥).

يضعنا الشاعر حمد الدوخي بإزاء مفهوم سلوكيات الفرد العراقي في مدة زمنية معلومة لدى المخاطب من خلال الوعي المسبق بينهما حول طبيعتها وحيثياتها، مما جعل الشاعر يجعل النص قائماً على تقانة الاسترجاع ليدلف من ذلك بنية مفارقة، تتناسى الواقع وتهمشه بنبرة احتجاجية صامتة كسرت افق التوقع في التخمين السلوكي أمام فوضى الحرب والخوف والقلق، فعبارة (نرتب طولنا وفق الثياب) توحي بالحرية الكاملة، فكانت التأشيرة الزمنية محددة لإطار حدثية الفعل الكلامي، إذ إن لفظة الليل في تدوليتها تشي بقصدية عدم الوضوح والخوف من المجهول كشفت عنه علاقته بشبه الجملة من الجار والمجرور (للبندقية) فالعلاقة بين اللفظتين تعبر عن محتوى هذا الخوف وشرعيته، ثم يأتي بالفعل (كان) الذي يمهد للحديث عن أفعال وقعت في زمن الماضي، تمثلت بالليل الجاهز للبندقية، والخوف من الأمن، ولكن على الرغم من ذلك كان المتكلم يتحدث بأفعال حققت قوة انجازية فاعلة من خلال التفاعل بين طرفي العملية التواصلية (كنا نسير في الشوارع ضاحكين)(الليل منشغل بنا حتى أخير الليل) فهذه الأفعال ترسم محددات مدة زمنية اقتطعها المتكلم من سفر ذاكرته

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الخامس
٢٠٢٢م/١٤٤٣هـ

لينفذ من خلالها إلى حديث أوسع من ذلك يتمثل بخوف اكبر وسط فوضى مجهولة، كان للاستهلال القبلي لهذا النص أثر مهم لزيادة عمق الاتفاق المسبق لحدود عملية التواصل فالمتكلم/ الشاعر ابتدأ نصه بقول فاليري: (خطران ما زالا يتهددان العالم: النظام والفوضى)، فهذا الاستهلال يعزز من قبول ما افترضه المتكلم وقبل به المخاطب، عبر سلسلة الأفعال الكلامية المرسلة، فكانت التأشيرة الزمنية المحور الذي دارت عليه مضمونية النص ومحتواه والممهدة لقبول التواصل والفهم، فالأعراف التداولية تمنح الاتفاق المسبق بين طرفي عملية التواصل مساحة أوسع لأنها تخلق قوة تأثيرية اكبر فيما لو كانت من دون هذا الاتفاق.

ثانياً : الأفعال الكلامية:Actes paroles

تُعدّ الأفعال الكلامية أحدى أهم اشتغالات الدرس التداولي الحديث الساعية إلى معرفة القوة الانجازية المتحققة للأفعال القوليّة، عند اصطفافها في نسق كلامي آخر يفضي فيه كل منهما إلى تحقيق مقصدية جديدة مؤثرة ضمن المساق النصي الجديد، هذه الثلاثية المشكلة لمفهوم التداولية وهذا الدرس بالتحديد لم يغب عن وعي الدرس البلاغي القديممن جهة قوة الكلام، أو ضعفه، في مراعاة مقتضى الحال، فضلا عن دلالة المعنى ووجهته، فقسموا المعاني إلى وحقيقية وغير حقيقة أو المعنى ومعنى المعنى كما هو الحال عند عبد القاهر الجرجاني، فكانت قوة الأداء ابرز معايير الدرس النقدي الذي يفاضل بين بنائية الجملة اللغوية والية أدائها، والفعل الكلامي يعد "نشاطاً ماديّاً نحويّاً يتوسل أفعال قوليّة لتحقيق أغراض إنجازية، كالطلب، والأمر، والوعد والوعيد...الخ، وغايات تأثيريّة تخصّ ردات فعل المتلقّي كالرفض والقبول ومن ثمّ فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريّاً، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب، اجتماعياً، أو مؤسساتيا، ومن ثمّ إنجاز شيء ما"(**صحراوي، ٢٠٠٥م: ٤٠**)، والملفوظات الكلامية الصادرة عن المتكلم تقسم على قسمين:ملفوظات قوليّة، وأخرى فعليّة، فالفارابي يعتقد"أن لكل قوة كلامية جواباً معيناً، فكل مخاطبة يقتضي بها شيء ما فلها جواب ، النداء إقبال أو إعراض، وجواب التضرع والطلبيّة بذل أو منع ، وجواب الأمر والنهي وما شاكله طاعة، أو معصية وجواب الشيء إيجاب أو سلب"(**الفارابي ، ١٩٩٠ م: ١٦٢**).

وأفعال الكلام توصف بأنها أقوال يمكن للمتكلم فيها أن يُنجز أفعالاً ما مستعيناً بلغته بعدما يسوقها بسياق ملائم، "فمعظم النظريات التي تدخل ضمن هذا التيار تسعى إلى إثبات علاقة المتكلم بسياق الكلام ؛ والسياق هو مجموعة متداخلة من العناصر الطبيعية والاجتماعية والنفسية والثقافية والتاريخية والدينية وغيرها من العناصر التي تشكل عالم الإنسان" (**بلخير،٢٠١٣م: ٦**).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الخامس
٢٠٢٢م/١٤٤٣هـ

لذا تنبه الأدباء إلى الأساليب التي من شأنها أن تدعم القوة الانجازية للأفعال التي تدخل في نتاجهم الأدبي، ولنا أن نتناول مجموعة من تلك الأفعال للكشف عن تأثيرها وفاعليتها:

صيغة الأمر والنهي:

سنحاول دراسة الأسلوبين عبر صيغة (أفعل) و (لا تفعل) فهما في حقيقتهما يدلان بشكل حقيقي على ما وضعتا لأجله، وقد وردت هذه الصيغة في شعر الدوخي، وان كانت خارج عن معناها الحقيقي إلى معان ودلالات أخرى.

ومثال ذلك قول الشاعر في قصيدة (صهيل) التي أهداها إلى عمرو بن كلثوم التي جاءت ضمن مجموعته الشعرية (عذابات الصوفي الأزرق) :

"أكتُبْ

ولا تحفلْ

بمن لغطوا

أنتَ

الصحيح

وكلُّهم غَلَطُ"(الدوخي، ٢٠١٢م:٨٦).

يتبين من خلال معاينة النص ان الشاعر يركز اهتمامه على فاعلية الصيغة ومضمونها، في إشارة منه إلى خصوصيتها التي تعين المتلقي على فكّ شفرة الرمز ودلالة اللفظ، الأمر الذي يؤكد حتمية (الدلالة النووية) الموضوعة في مواجهة الدلالات المتحققة بفعل المقام السياقي، الأمر الذي يجعل مضمون النص يدور بين ثنائية المنطوق والمفهوم فهي ثنائية فاعلة في الكشف عن المضمون النصي من خلال ضديتها، ويبدو أن الشاعر كان واعيا بخصوصية الأفعال اللغوية في السياق الشعري ومقاماته، فهو يحاول انْ يتخذ من عمرو بن كلثوم قناعاً له ليرضي نرجسيته في الكتابة الشعرية.

ومن صيغ الأمر الأخرى الواردة في شعر حمد محمود الدوخي قصيدة لوحتان لوطن يتلفّت:

ليصرخَ:

" إنَّ (الوجوه) ضحايا

ولكن لنا اللونُ

نَرْسمُهُ نسيميّاً

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الخامس
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

للوحاتِنا

كي تجئ المواسمْ (الدوخي، ٢٠٠٩م: ٧٦).

يوظّف الشاعر صيغة الأمر (المضارع المقترن بلام الأمر) فجعل النص يحمل فعلا إلزامياً وقولاً انجازياً الغاية منه عدم السكوت أو الركون إلى الضعف والاستسلام بل تحويل كل لحظات الوهن إلى صمود وثبات فقصدية المتكلم تتجه نحو تحقيق مقاصد خطابية تواصلية، لذا فالعناية بالمعاني والوعي بها تدفع المتكلم إلى التأني في اختيار أفعاله وصيغها الملائمة لطبيعة المقام الذي بصدده.

أسلوب الاستفهام:

الاستفهام هو "طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، وهو الاستخبار الذي قالوا فيه: أنه طلب خبر ما ليس عندك، وهو بمعنى الاستفهام"**(عكاوي، ١٩٩٢م: ١٢٢).**

وهو احد أساليب الطلب أو الإنشاء، والتصور أوالتصديق هما الوظيفة التي يؤديها حين وروده في جملة وكل طرف من طرفي وظيفته استعمال خاص يختلف عن الآخر، فالتصور للسؤال عن مكونات الجملة، أما التصديق فلمعرفة مضمون الجملة. وقد يخرج إلى معان مختلفة يكون السياق فيها هو المحدد لفهمه عبر القرائن التي تشير لذلك،ونصوص حمد الدُّوخيّ تكتنز بالدلالات التي تتوالد عبر الاستعمال المتعدد لهذه الصيغ اللغوية، ومن ذلك قوله:

"يا أمُّ

لمَ أنا متهمٌ بتشذيذِ الكلامِ

ومحوِ النصائح

وكريِ الحروفِ؟؟

لمَنْ؟!

ولمتى ؟!

أغيثيني

أرجعيني إلى مخبئي تحت صايتك / النهر

من زحام المدن

وعاهة النقد

وسطوة الناهدات

لم اكن اعلم

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الخامس
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

أن بانتظاري كل هذا الفجور

أواه هل تذكرين....

طفلاً أزرق أمام باب بيتنا

تخيفه نصائحك أنْ يلعب مع الأطفال ؟!"(الدوخي، ٢٠١٢م: ١٥٤ ـ ١٥٥).

بنية الاستفهام تصنف ضمن التوجيه الطلبي، والقوة الانجازية لها غير مشروطة الإجابة من جهة المخاطب، لأن من الاستفهام ما يكون مجازياً بعيدا عن الحقيقة التي تتطلب ذلك، فهو قد يأتي تارة للتوبيخ وتارة للنفي وأخرى للتعجب فهو "أسلوب لا ينحصر معناه في دلالة واحدة، فلا يجد الشارح مناصاً من استخدام مجموعة من المعاني في محاولة للامساك بعطاءاته الدلالية المتنوعة"(قاسم، ٢٠٠٧ م، ١٢٠)، فأسلوب الاستفهام في هذا النص بعيدا عن حاجته إلى إجابة، فالشاعر كان واعياً بهذا الأسلوب من التوظيف اللغوي حينما أوردها بهذه الصيغة فجعل غرضها من جهة الانجاز منصرفاً إلى غرض تعجبي، فالمخاطِب يعجب مما حوله فيخاطب(الأم) المناجاة التي تجمع العطف والحنان والدفئ، فمن يتعمق بهذا النص ويبحث عن قصديته الأصلية يكتشف الواقع الذي جعل الشاعر يتعمد هذه الصياغة بغية خلق حالة من الخذلان فيحاول أنْ يعود للوصول إلى واقع يمكن أن يعاش، فالمدن وطريقة عيشها يخيفه فيعود بذاكرته لريفه الذي تربى فيه والى أمان أمه وحنانها، وكأنه يتحدث عن مستويين من حياته .

" يا قاتلي:ـــ

أسمعْ حروفَ قصيدتي... يا قاتلي

والقِ المسدس

واترك الإسعاف

للدور المؤسس واهجر الخطباء

والقنوات والأنباء

هاك قصيدتي يا قاتلي

خُذها لنحلو" (الدوخي، ٢٠١٢م: ١٦ـ ١٧).

يضعنا الشاعر حمد الدوخي أمام حشد من العناصر الداعمة للقوة الإنجازية، التي كان واعياً في توظيفها ضمن سياق متنقل بحسب نوع الآلية التوجيهية الواقعة بين ثنائية الطلب والانجاز مبتدئا بأسلوب النداء الذي يشترط وجود متكلم (مناد) وافتراض وجود مخاطب(متلقي خطاب النداء)،

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الخامس
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

فالوعي من قبل الشاعر متمثل بخصوصية النداء فهو يكشف عن فاعلية للذات في الفعل الكلامي عبر تموضعه داخل الخطاب الشعري، فبعد أن نادى المخاطب (القاتل) واستوقفه لحظة للانتباه والإصغاء، وظف فعل الأمر (اسمع، الق، اترك، اهجر، خذها) ليفيد من قوتها الانجازية، وكأن الشاعر أراد استحضار قوة الاستلزام الحواري في هذا المقام السياقي، ليجعل المخاطب ينصرف عن قتله وقتل غيره بعدما يأمره بهجران الاستماع إلى وكالات الأنباء التي تؤجج حجج القتل وتبيحها الخطباء، ويدعوه إلى الاستماع إلى قصيدة الشاعر المليئة بالسلام، "فالعبارات اللغوية لا تنقل مضامين مجردة ونمطية، وإنما تختلف حسب عدة عوامل منها السياق، فضلا عن ظروف وعوامل أخرى تتدخل في تحديد دلالة اللفظ وقوته".(**الباهي، ٢٠٠٤م، ١٢٣**)

كما أنه يختم بقوله: (لنحلو) الذي من شـــأنه إزالة أي شـــك؛ لذلك تقول أوريكيوني: إن المتكلم يقوم بتمرير "تأكيد ما باعتباره مسلَّما به، أي في إزالة كل طابع إشكالي من فكر المخاطب من شأنه أن يوقظ أي اعتراض عليه أو أن يعززه"(**أوريكيني، ٢٠٠م، ٥٠٥**)، فهو بهذه التأكيدات لم يعطِ للمعني أي مجال لاعتراضه أو إثارة أي شك حول ما قدم من إستراتجيات اقناعية؛ من شأنها إبطال القول أو الإخلال به.

ويقول ملوحا إلى معنى متضمن في الاستفهام:

" من
قد يجوعُ !
وأنتَ ملحُ
ويداك
ماعونٌ وقمحُ"(الدوخي، ٢٠١٢م:٣٠).

تحفظ الشاعر هنا ملوحا إلى تلك الخيرات التي نهبها الحاكمون المسيطرون على العراق. وقد جاء الاستفهام ها هنا متضمنا غرضا إنجازيا تعجبيا، والتعجب من صنف الأفعال الكلامية التعبيرية، ويشير (القمح) إلى الخيرات الكثيرة؛ كونه يتعلق بقصة النبي يوسف (عليه السلام) مع أهل مصر. ويشير الاستفهام أيضا إلى ذلك الخير الكثير الذي على الرغم من وجوده إلا أن الجياع كثيرون في هذا البلد. وإستراتيجية التلميح التي لجأ إليها الشاعر لا بد منها؛ لسببين:

الأول: أنها تنمي النص بقوى إنجازية مضمرة تكون أقوى منها لو كانت تلك القوى مصرحا بها.

الثاني: عنصر الخوف أو التحفظ؛ حفظا لماء الوجه.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الخامس
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

وقد استعان الشاعر بقوة الإنجاز الإخباري ليضمنه أفعالا كلامية أخرى، يقول:

" وطن به الغرباء أسياد

وأهل الدار نزل

وطن تعبأ بالحقائب

وطن حدائقه كتائب

عشاقه

يتبادلون الهاونات

على المصاطب

ما له بالورد شغل

وطن بنوه تقاسموه

ولملموه وهربوه

وحاربوه وهجروه

فما الذي نرجو من الأعداء

والأعداء كل

الطائرات تدك سور حديقتي

والصوت يعلو

القاذفات تمشط الطرقات

والميدان سهل"(الدوخي، ٢٠١٢م: ٣٣).

يدل الإخبار في أول النص على فعل كلامي إخباري هو إخبار آخر عن فعل الخيانة، فالغرباء أسياد بفعل الخيانة التي جاءت من أهل الدار، فلولاه لم يكن الغرباء أسيادا فيه. وتدل (الحقائب) على فعل إخباري هو نَهْب الخيرات، إذ إن خيراته صيَّرت نقودا تعبأت في حقائب، وصودرت إلى بلدان أخرى؛ وشعبه منشغل بعضه، فحدائقه كتائب حرب، كرّ وفرّ. ويعبر الشاعر عن المأساة التي يعيشها بفعل إخباري تضمن التحسر على حال هذا الوطن الذي أصبح عشاقه يتبادلون (الهاونات) لا الوداد والنظرات البريئة بين الأعين العاشقات. ويزداد التصريح بفعل الخيانة في قوله: (وطن بنوه تقاسموه) الذي يعبر عن إضمار مجموعة من الأفعال الكلامية التي كانت بين تحسر على حاله، وذم المتخاذلين الذين فرطوا به وباعوه بثمن بخس، وذلك الغضبِ الذي يشعر به.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الخامس
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

ولا جرم في أن تضافر هذه الأغراض الإنجازية قد أعطى قوة أنجازية كبرى للنص الشعري المذكور، فكما أن الجملة تحوي مقويات إنجازية، فكذلك يمكن القول: إن النص كله يقوى إنجازيا من خلال المقويات التي يلحظها القارئ في أثنائه، وتكون تلك المقويات موجهة إلى النص كله لا إلى جزء منه.

ويقول في الحال التي عليها العراق:

" كانت مدائننا تخاف الأمن

كنا خائفين.. نعم

ولكنا نسير على الشوارع ضاحكين على البلاغة

في الخطاب" (الدوخي، ٢٠١٢م: ٣٦).

وقد أراد بهذه الجمل الإخبارية المقارنة بين بغداد الماضي، وبغداد الحاضر، إذ يرى أنها من سيء إلى أسوأ. ولم يصرح بمقصوده حرفيا؛ لأن القارئ سيستدل عليه إذا أنعم النظر فيه، وقوله: (تخاف الأمن) فعل كلامي غرضه الإنجازي الخوف، وهو من صنف التعبيريات، وقد أراد به أن الخوف لم ينته؛ لأن التركيب: (كان+ جملة خبرية فعلية فعلها مضارع) يدل على الماضي المتجدد.

ويقول في القصيدة نفسها:

" صارت مدائننا تخيف الأمن

صرنا خائفين .. نعم

ونركض في الشوارع

خشية الإسعاف

والليل الملثم

يا إلهي .. آه .." (الدوخي، ٢٠١٢م: ٣٨).

في النص إخبار تضمن التحسر على تلك الحال التي أصبحت عليها بغداد. ويشير الفعل (تخيف) إلى غرض التحسر، فالأمن مخيف لا يتوافق مع بغداد التي كانت تخيف الفوضى سابقا، والآن يحدث العكس. وقد يصل الغرض الإنجازي المتضمن في الإخبار إلى حد البكاء على هذه الحال؛ بدلالة النداء في قوله: (يا إلهي)، واسم الفعل المضارع (آه) الذي يقدر بالفعل (أتوجع). ولا شك في أن الأغراض الإنجازية المتضمنة في الحمولات القضوية لهذه الجمل، ستضفي لتداولية الأفعال الكلامية الواردة فيها جانبا تأثيرا ينتج عنه تفاعلا بين شاعر يطلق أفعاله بحس صادق وقارئ يتعلق صدقه؛ لتنتج لنا تداولية فاعلة بين ركني العمل الإبداعي (المرسل، والمستقبل).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الخامس
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

خامسا: الافتراض السابق

يعد هذا الأسلوب من أهم أساليب التداولية المركزيّة الرامية إلى تحيق نوع من التواصل بين المخاطبين، يبدأ المخاطب فيها من إيمانه بوجود نوع من " معطيات وافتراضات معترف بها ومتَّفق عليها بينهم، تشكل هذه الافتراضات الخلفيّة التواصليّة الضروريّة لتحقيق النجاح في عمليّة التواصل"(**صحراوي، ٢٠٠٥م: ٣٠**)، فعدم وجود هذا الافتراض السابق يجعل المقام السياقي لعملية الخطاب فاشلة بين طرفيه في عملية المعالجات اللسانية لاسيما وان "العناصر اللغوية لا تدل على شيء بعينه بقدر ما تنوب عنه، ويدعوها أصحاب نظرية التلفظ بالمبهمات، فهي الوقت نفسه رموز وعلامات تنتمي إلى وضع اللغة من جهة، وتحتوي على عناصر من السياق من جهة أخرى"(**بلخير، ٢٠١٣م: ١٧**).

ولعل قصيدة سلامٌ تكون مثلا لهذا النوع:

سلامٌ على
جثةٍ فوقَ جسرِ الرصافةِ
كانت تعدُّ الصباحَ على غفلةٍ من بندقيةِ صيد،
سلامٌ على النهرِ
كيف
يمرُّ
ولم
يلتفتْ
نحوها؟! (**الدوخي، ٢٠١٢م: ١٢٣**).

من دون شك ان الملفوظات الموظفة في النص الشعر يتحمل أوجهاً متنوعة الدلالات نتيجة دخولها في سياقات تجعلها تنزاح عن وضعها الذي يتطلبه نظم الكلام النحوي وتدخل مستويات التعبير الشعري لتحقيق قصدية ما، من اجل تواصلية الخطاب بين المتكلم والمخاطب، فجملة (سلام على جثة فوق جسر الرصافة) هي عبارة عن ملفوظات قولية تحمل قوة انجازية فاعلة نتيجة وجود نوع من الافتراضات المتفق عليها بين المتلقي والمتكلم، فهي تشير بوضوح إلى قصدية المتكلم الحديث عن حادثة استشهاد الامام الكاظم عليه السلام وعن الكيفية التي تم الإعلان عنها، فإدراك هذه المرجعية وفهمها يعين طرفي الخطاب على إتمام العملية التواصلية، فلو لم تكن هذه الافتراضات السابقة

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الخامس
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

متحققة لظلت الجملة في حدود الأقوال المبهمة، إلا ان الصـــيغة التي وردت فيها أدخلتها في حدود التداولية الساعية إلى كشف المعنى وانتقالاته من مستوياتها التلميحية إلى مستوياتها الصريحة، وقد تحققت هذه القصـــديّة عبر المعطيات المتمثلة بهيأة مرجعيات قارة ومتفق عليها بين طرفي الخطاب، فالمخاطب لا يمكنه تفسير التلفظ في سياقه من دون الاعتراف السابق بقصدية فعل المتكلم، لذا فان "معرفة اللغة بأنظمتها المعروفة وحدها لن تغني المرسل إليه في معرفة قصـد المرسـل عن السـياق؛ لأنَّ مدار الأمر ينصـــب على ماذا يعني المرســـل من خطابه، لا ماذا تعنيه اللغة، حتى لو كان الخطاب واضحاً في لغته؛ لأنّ معرفة قصد المرسل هو الفيصل في بيان معناه"**(الشهري، ٢٠٠٤م: ١٩٦)**. والملاحظ ان الشاعر / المتكلم كان واعيا بملفوظاته وبالسياق الذي وردت فيه.

ومن الأمثلة الأخرى على الافتراضات السابقة قوله في قصيدة عذابات:

" لو لم أرَ في عينيكِ
فاكهة في غير أوان
ما جئت بهذا القلب خفيّا
قولي كذلك
لأكلم هذي الناس ثلاثَ ليالٍ
ـ عن طير يتبعك .. ليدلّ عليكِعن ريح تهمس خلفكِ .. لتدل عليك
ـ وفراش يحمل عنك عناء ضفيرتكِ ليدلّ عليكِ
أين أخبئ قلبي؟!"(الدوخي، ٢٠١٥م: ١٤).

يوجه المتكلم خطابه إلى متلق معلوم تربطه به علاقة جعلت منه يسوق هذا الخطاب في سياق يشـي بوجود نوع من الافتراضـات المتفق عليها بين المتكلم والمخاطب تسـهل من العملية التواصـلية بين أطراف عملية التخاطب، فالدلالة الاستلزامية تكشف عن لجوء المتكلم إلى ايراد قصـة مريم عليها السـلام، وقصـة النبي زكريا عليه السـلام بقصـدية خلق حالة من القداسـة والهيبة للمخاطبة الحبيبة، فالأفعال الانجازية جاءت بقصد تواصلي وقد استعان بالسياق الخارجي المؤطر للنص والمتمثل بهذه القصص التي كان المتكلم واعيا بتوظيفها بصورة غير مباشرة ولكنه اكتفى بذكر إشارات تلميحية عنها لتكون شرطا من شروط التواصل، فالتواصلية "لا تكاد تتم في غياب الشروط التداوليـــة فملفوظات الخطاب لا تنفصل هي الأخرى عن أسيقة التلقي: ومنهـا البـاث والمسـتقبل والجمهور والنسق وشكل الخطاب والمقام والقناة والموضوع والغرض ومفتاح التقويم"**(المتوكل، ١٩٨٦: ٩٦)**.

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الخامس
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

ثالثاً :الاستلزام الحواري:

يعد الاســـتلزام الحواري من المبادئ التداولية التي يلحأ إليها المتكلم في حواراته وكتاباته؛ لأنه بحاجة إلى التعبير عن المعاني متخفيةً وراء المحتوى القضوي للجمل أو النصوص كلها لأسباب رأى التداوليون أن الرئيس منها هو التأدب في الخطاب، مع الحفاظ على مبدأ التعاون الذي يعد وســـيلة للوصـــول إلى مقصـــدية المتكلم التي يعلم أن المتلقي ســـيســـتدل عليها، فقد نقل ســـيرل قول جرايس: بـــ"أننا حين نتصل بالناس، فنحن نفلح في توليد فهم لديهم بجعلهم يتعرفون على قصدنا في توليد ذلك الفهم"(سـيرل، ٢٠٠٩م: ٢١٢). وقد كان للاسـتلزام الحواري في أشـعار حمد الدوخي حضـورا، منه قوله:

" وطن يتدلى عطشا
بين ثلاثة أنهار"

ويتحكم عنصر الخوف في إضمار أفعاله الكلامية؛ لأن التصريح ها هنا كأنه من المحظورات سياسيا. وقد استلزم النص معنى لوّح به الشاعر ليفصح عن الحال التي هو عليها، فهذا النص الإخباري يضمر إخبارا مستلزما يكمن في الإخبار عن أن هذا الوطن تعرض لسرقة سيتكلم عنها التاريخ كثيرا، وستشغل صفحات طوالا منه، فما حال الوطن الذي تدلى عطشا وهو بين ثلاثة أنهر ؟!. ودلالة الفعل (تدلى) زادت من قوة الإنجاز، فهو يدل على عدم الثبوت فكأنه يتقلب عطشا من دون أن يهدأ ولو للحظة.

" الصمت جائزة
أيتها المنصات
وأنت يا شعر
أيها المنبر المجنب
مدني تتبعثر" (الدوخي، ٢٠٠٩م: ٢٤).

يثور الشاعر مستعينا بما تضمنته هذه الأبيات من معان مستلزمة كان لا بد له منها؛ لذلك تقول أوريكيوني: "يعجز المتكلم، لأســـباب تتعلق باللياقة، عن اســـتعمال العبار المباشـــر، فيلجأ... إلى الصـيغة المضـمرة لتذليل عقبة وجود بعض الرقابات ذات الطابع الأخلاقي أو السـياسـي أو القانوني والاحتيال على قانون الصـــمت الذي يحظر عن بعض الأغراض الخطابية"**(أوريكيوني، م٢٠٠٨: ٤٩٨)**؛ لذا جاء الاستلزام الحوراي دعامة تضمَن له التعبير عما يجول في خاطره، تاركا مبدأ التعاون

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الخامس
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

ليتكفل بقصديته التي تضمنها هذا النص، فالنص يحمل قوة إنجازية بين الذم والتحقير، فهو يذم من كُلِّف بذلك المنبر، ويحقر من يصدق تلك الترهات التي لم نجنِ منها شيئا غير الدمار والخراب. ويعد التصريح بما هو في ميدان الدين أو غيره من الميادين التي تعد خطوطا حمراءَ، أمرٌ يقرب من المستحيل؛ لأن التصريح بهذه الأمور لا يفهم على وجه الخصوص، إنما يؤخذ من باب العموم؛ ومن ثم يكون الشاعر عرضة للخطر المحتوم من دون أدنى شك، فالتلويح بالمعنى مفهوم من لدن القارئ؛ لأن الشاعر يعلم أنه سيستدل على المعنى المناسب؛ لذلك يقول سيرل: "إنك لا تستطيع أن تقول أي شيء وتعني ما يحلو لك"(سيرل، ٢٠٠٩م: ٢٠٦)، فالمعنى مفهوم والاستدلال عليه –على أية حال– واقع لا محالة؛ ومقاضاة القائل في المحظورات – أيا كان مجالها– لن يقع.

١.استلزام الخطاب المتناص:

" ما زلت أفتشُ ليلَ الملحِ عن امرأةٍ
لتجرّ بذيلِ الثوبِ ذنوبَ العشرين إلى الوادي
كي اخلع نعليّ واركض
بين الوجه وبين القلب
وأنسأني ضيّعتُ الفانوس بليل أبي
فأبي كان الصوت الأوّلَ
يأتي من شرفات الطين هديلاً
(لا تقصص رؤياك على أحد)
فالكلُّ غبارُ المنعطفات يضيّعه
أنت العاشق والمعشوق
فلا ترحل" (الدوخي، ٢٠١٢م: ٢٢).

لا يمكن لمن يقرأ هذا النص وهو يقاربه مقاربة تداوليّة أن يتجاوز تناصه مع القران الكريم لانها ـــــ اعني التداوليّة ـــــ تسعى إلى معرفة اللغة في ضوء استعمالها التواصلي، والتناص هو أحد أساليب التواصل بين المجتمعات، فالشاعر هنا وظّف النّص الديني بشكل ادخله في الاستلزام التخاطبي، وقصديّة المتكلم/ الشاعر واضحة فيه من خلال السياق الذي يسير باتجاه المعنى الضمني الذي يحاول المتكلم الوصول إليه، فالنص فيه متسع اكبر لاحتمالات المخاطب التي يجدها ملائمة لمقاصد المتكلم في سياق مؤشراته الموزعة على شكل أفعال انجازية تتمثل بالنهي عن قص الرؤيا على أحد،

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الخامس
٢٠٢٢م/١٤٤٣هـ

وهي الدلالة المترشحة من فاعلية التناص في الاستلزام الحواري، وفي خضم هذا التعالق النّصّي تتضح خاصية الاستلزام الحواري.

وللاستلزام الحواري أثر في تنشيط حرية التعبير للشاعر، فكأنه يعلو فوق سماء التصريح ملوحا بمعانيه كيفما شاء وبأي طريقة شاء، معتمدا على توفّر مبدأ التعاون الذي يكون بمثابة العين التي تلمح تحليق المعاني فوقها. وهو يرفد الشاعر بمخيلة تسع تمرده وجرأته وثورته على الوضع الراهن؛ فهو بمثابة المعزز الذي يحمي الشاعر من الرد الذي لا يحمد عقباه في الحال التي يصرح فيها؛ لأن المتكلم –في هذه الحال– كأنه يتبنى الإضمار الذي هو عبارة عن تساؤلات في نظر قارئ النص، وهذه الإضمارات "لا يمكن على الإطلاق نسبتها بشكل مؤكد إلى قائلها، كما يكون فك ترميزها غير ملزم قطعا. ولهذا السبب فهي قادرة على أن تشكل موضوع تلاعبات جمة سواء من جانب المتكلم أم من جانب المحاور"(أوريكيوني، ٢٠٠٨م: ٥١٠).

وفي مصطلح التأدب الذي جعله التداوليون سببا رئيسا في إضمار المعاني المستلزمة، نظرٌ؛ لأن التأدب قد يكون خوفا في بعض الأحيان، وتأدبا في أحيان أخرى، كما أنه قد يكون جسرا لمشاريع فكرية شعرية كانت أم نثرية، وهذا الجسر يقابله مصطلح الإضمار.

مجلة العلوم الانسانية
العلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الانسانية

الخاتمة :

يسعى هذا البحث إلى مقاربة شعر حمد محمود الدوخي مقاربة تداولية لينفذ من خلالها إلى الكشف عن مواطن الجمال والابداع والى كيفية بناء النص الشعري على وفق استراتيجيات التداولية وقد تبين من خلال البحث أن اغلب النصوص الشعرية للشاعر حمد محمود الدوخي تتسم باتخاذها الاتجاه الاقناعي وظيفياً وهو اتجاه يمنحه سلطة تمكنه من استمالة متلقيه، فضلا عن جنوحه الدائم إلى الإفادة من التناص مع نصوص تراثية تتماز بالسلطة الاقناعية لكونها قارة في ذهن المتلقي وأصبحت من مسلماته، كما تبين هيمنة صيغ الطلب في خطابه الشعري وهو أسلوب فاعل في

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الخامس
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

الموضوعات التي تناولها الشاعر، فضلا عن فاعليتها الاحالية على مستوى الوظيفية، كما حفل شعره بجملة من الأفعال التي تتسم بقوة تأثيرية نتيجة ميولها في أحيان كثيرة إلى الجانب الحجاجي.

المصادر:

١. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، ط١، بيروت،٢٠٠٤م.
٢. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، محمود احمد نحلة، دار المعرفة الجامعية بمصر،(د،ط) ٢٠٠٢م.
٣. الاسماء كلها ، حمد الدوخي، شرق غرب للنشر، دولة الامارات العربية المتحدة، دبي ، ط١، ٢٠٠٩م.
٤. المشيرات المقامية في اللغة العربية، نرجس باديس، مركز باديس، ٢٠٠٩م.
٥. المعجم المفصل في علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، انعام فول عكاوي، بيروت دار الكتب العلمية ، ١٩٩٢م.
٦. تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظريّة التداوليّة، عمر بلخير، دار الامل، تيزي وزو، ط٢، ٢٠١٣ .
٧. دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ، احمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب،٩٦، ط١، ١٩٨٦ .
٨. عذابات الصوفي الازرق ، حمد محمود الدُّخيّ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، ٢٠١٢.
٩. لسان العرب : ابن منظور، دار صادر، بيروت،ط ١ ،٢٠٠٠م
١٠. معجم تحليل الخطاب : باتريك شارودو ، دومينيك منغو ، ترجمة : عبد القادر المهدي ، حمادي صمود ، ومراجعة : صلاح الدين الشريف ، ط ١ ، دار سينات ، المركز الوطني ، تونس ، ٢٠٠٨ م
١١. مفاتيح الابواب مرسومة ، حمد الدوخي ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ٢٠١٥
١٢. التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللساني، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت،ط١، ٢٠٠٥.
١٣. الحوار ومنهجه التفكير النقدي، حسان الباهي، أفريقيا الشرق ، ٢٠٠٤م.
١٤. السياق والنص الشعري ، من البنية إلى القراءة، علي آيتاوشان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب.
١٥. المقام في البلاغة العربية، دراسة تداولية، د. شكري الطوانسي، مجلة عالم الفكر، المجلد ٤٢، ٢٠١٣م.
١٦. بلاغة الخطاب وعلم النص، د.صلاح فضل، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٩٢،٨.
١٧. تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الطلب النبوي الشريف : حسام أحمد قاسم ، دار الآفاق .
١٨. كتاب الحروف، أبو نصر الفارابي ، حققه وقدم له، محسن مهدي ، ط – ٢ ، بيروت ، دار المشرق ، ١٩٩٠ م.
١٩. معجم المصطلحات اللغوية : د .رمزي منير البعلبكي،دار العلم للملايين، ١٩٩٠ م.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الخامس
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

٢٠. التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، أحمد فهد صالح شاهين،عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع- إربد-شارع الجامعة، ط١، ٢٠١٥م.
٢١. العقل واللغة والمجتمع- الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، ترجمة: صلاح إسماعيل، ط١، ٢٠٠٩م.
٢٢. المضمر، كاترين كيربرت-أوريكيوني، ترجمة: ريتا خاطر- مراجعة د. جوزيف شريم، حقوق الترجمة العربية والنشر: المنظمة العربية للترجمة-بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الخامس
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية